

مقدم القرآن

بقلم القس ج. م. رودويل

الديباجة بقلم ج. مرجونيوت

يجب التسليم بأن القرآن قد اعتلى مركزاً مهماً بين كتب العالم الدينية. وبالرغم من أنه أحدثها فإنه يوجب لنا إندهاشاً من عظم تأثيره على جموع كبيرة من الناس، فقد تسبب في إيجاد فكرة إنسانية من طراز جديد وفي خلق أمة عظيمة من قبائل العرب الرحل الذين كانوا يسكنون جزيرة العرب وإيضاً قد كان السبب في إيجاد النظام الديني السياسي الذي يعترف بأثره كلا من الغرب والشرق

وسرهمية هذا الكتاب نثى، عن العقل الذي أنشأه. ولم يكن القرآن في بادئ الأمر كتاباً بل صوتاً رهيباً شرع وحذر ومنى وعلم. وهو كتاب، قد نشر بعد موت النبي وقد كان قبل وفاته مجاميع من مذكرات وأقوال وتذكارات لدى السامعين فوالحالة هذه يكون الذي يتكلم عن القرآن إنما يتكلم عن محمد أيضاً. وليس في الامكان إيجاد تقارب بين المكتوب والكاتب مثل التقارب الكائن بين القرآن ومحمد. هناك أراء متنوعة عنه. فالمسلمون يسلمون بأن محمداً خاتم النبيين وأن القرآن نزيل الحكيم وهناك من يتابع كارليل فيما ذكره عن محمد في كتابه، الأبطال، وهناك أيضاً من يعمط محمداً والكتاب حقهما من الأكار

أن قيمة أى دين تتوقف على مقدار الحقيقة الذي تحويه تعاليمه وعلى المستوى الخلقى المطلوب من معتقيه الوصول إليه، ثم بعد ذلك يجب الالتفات إلى الجديد فيه أى الذي لم ينقل عن سبقه. أما عن الوجهة الأولى فقد حوى الاسلام بعض حقائق إما أخلاقية تسبب لنا الدهش إذا بحثنا عنهما من حيث نحن الآن، ولكنها تسبب لنا الرضا لو قارناها مع الأخلاق التي كانت متفشية بين قبائل ذلك العصر. وقد حاول محمد أن يجعل أخلاقياته متابعه للأدوار التي كان يلعبها بين فترة وأخرى وأما مادته فأخوذة كلها من الوثنية ثم المسيحية واليهودية بشكها في ذلك العهد. وأما النسق فهو

وحده الذي يصح أن يقال أنه غير مستعار . وللقرآن ميزان هو أنه كان نائمة لنسوة
أدنى جديد وكان السبب في إيجاد فلسفة كانت الشغل الشاغل لمفكرى اليهود والنصارى
طيلة عهد القرون الوسطى

إن نسق القرآن طريف لا يائله أى نس لغوى آخر، وأنتك عند ما تسمعه يتلى
تظنك تصنى إلى صوت أنبياء إسرائيل الأول . ولكن أول ما بلغت النظر إليه سر
كثرة التكرار لدرجة المبالغة . وهو يحوى زيادة على ما سبق شئ كثير من اللفظ الوحشى
حقيقة أن جزءاً من هذا يعود على عجزنا عن متابعة نفسية عصر النبى ، فإذا أردنا
أن نتصفه وجب أن نرجع إلى ذلك العصر لنقدر على الحكم بانصاف . فقد كان يناضل
بشجاعة وسط عقبات كثيرة . ولم يكن على شئ من الثقافة اللهم إلا بضع قصص وتقاليد
وقب عليها بالسبع فلم يكن له مؤدب إلا نفسه

ويقول المسلمون أن القرآن أحسن شئ كتب ولا يجدون عيباً فى نسقه وكذلك
يسلمون بصحة كل ما يحويه من مادة ويدعون أنه فى ذاته معجزة عظيمة

ج . مرجوليوت

المتن

ليس هناك قائل يزعم أن تنظيم سور القرآن كما يتبع فى الطبقات العربية أو
الافرنكية يعود إلى تقاليد دينية أو حتى إلى إشارة من النبى لانباع هذا التسق دون غيره
جمعت المتفرقات التى كون منها القرآن فى عهد أبى بكر بعد مرور عام على وفاة
محمد ، لان عمر نصح بذلك للملاحظة أن الحفاظ والصحابة يموتون واحد إثر واحد
خصوصاً فى حرب اليمامة (١٢ د) التى كادت تأتى على البقية الباقية منهم

وقد وقع الاختيار على زيد بن ثابت الانصارى لجمع شتاته من صدور الرجال
او من الاحبار الخ والظاهر أن القرآن الذى جمع وقتئذ أودع لدى حفصة أرملة محمد
وكان المرجع الوحيد طيلة خلافة عمر وقد نقلت عنه عند نسخ . ولكن اختلفت القراءات
الامر الذى استغل فى زمان عثمان وخوفا من اتساع الخرق وانقسام المسلمين كما سبق

واختلف اليهود والمسيحيون على النص ، بادر عثمان بتوحيد الأصول التي يؤخذ عنها فاناط بزيد السالف الذكر عملية ضبطه وفقاً للقراءة المكية . وقد كلف ثلاثة أو اثني عشر شخصاً لمعارفته . وقد هلت عدة نسخ مضبوطة منه الى أن كان الامبراطورية لاجل النقل عنها

والظاهر أن زيدا ورفاهه لم يجمعوا شتات القرآن اتباعاً لنسق مخصوص اللهم الا محاولة وضع أطول وأوفى السور في الاول وبالرغم من أن هذه الطريقة ليس فيها شيء من الفن ولا الصنعة فانها لم تتبع تماماً

ومن الغريب أنهم وضعوا بعض السور المدنية المتأخرة قبل بعض السور المكية المتقدمة ويمكن ملاحظة أن السور القصيرة الأخيرة هي الأولى كذلك يلاحظ أن بعض الآيات المكية قد رجت ضمن السور المدنية وبالعكس . ويمكن والحالة هذه الحكم بأنهم رتبوا مادة الكتاب بما توصلت اليه أيديهم أولاً بأول دون أن يبالوا اذا كان سياق الكلام متابعاً أو منقطعاً ودون اهتمام بالنسق ، فتج عن هذه الحالة وجود هط من التعتذر تتبعها لأنها متافرة في المعنى والنسق لا تتشعب مع روح الموضوع الذي رمى اليه مؤسس الاسلام . ويلاحظ أيضاً عدم محاولة تجميع الآيات من أجل وصلة تجمع أقوالاً متافرة مرصوفة مع بعضها جنباً الى جنب وفي هذا شاهد على أمانة الجامعين واحترامهم للكتاب المنزل ولكن كان الأجدر بهم ألا يفعلون ذلك خدمة للتاريخ ومسايرة للروح التي أوحى بوضع الكتاب خصوصاً وأنه ليس من المرغوب فيه وجود النسخ والتناقض في كتاب كهذا . وقد حاولت أن أظم السور قدر الامكان وفقاً لتسلسل نزولها واعتمدت على رأى فيل Weil في كتابه محمد الرسول Mohamed der Prophet وتطبيقاً للتاريخ المتداول عن سيرة محمد نفسه . كذلك اهتمت بما كتب ميور Muir في حياة محمد Life of Mohamet وكذلك ما كتبه نولدكه Noldeke في كتاب تاريخ القرآن Geschichte der Qeran ويلاحظ الانسان تبايناً غريباً بين السور الأولى والثالية والأخيرة

ترتيب السور حسب التنزيل

الناريات	٥١	الطارق	٨٦	الثقل	٩٦
الرحمن	٥٥	العصر	١٣٠	الفلق	١١٣
الدخان	٤٤	التكوير	٨١	النصر	١١١
مریم	١٩	النبأ	٧٨	الليل	٩٢
الملك	٦٧	الحاقة	٦٩	القدر	٩٧
النمل	٢٧	المعارج	٧٠	التين	٩٥
النحل	١٦	الانسان	٧٦	الافطار	٨٢
غافر	٤٠	الحجر	١٥	المزملات	٧٧
الشورى	٤٢	الجن	٧٢	المطففين	٨٣
الاحقاف	٤٦	الاسراء	١٧	النجم	٥٣
التغابن	٦٤	الجاثية	٤٥	نوح	٧١
الصف	٦١	يوسف	١٢	الشعراء	٢٦
الاحزاب	٣٣	لقمان	٣١	الزخرف	٤٣
الفتح	٤٨	الاعراف	٧	الفرقان	٢٥
التوبة	٩	البينة	٩٨	فصلت	٤١
والضحى	٩٣	آل عمران	٣	ابراهيم	١٤
الكافرون	١٠٩	المحشر	٥٩	العنكبوت	٢٩
الماعون	١٠٧	الحج	٢٢	فاطر	٣٥
الفيل	١٠٥	الحجرات	٤٩	البقرة	٢
عبس	٨٠	المزمل	٧٣	محمد	٤٧
القارعة	١٠١	الفاتحة	١	الطلاق	٦٥
العاديات	١٠٠	الهمزة	١٠٤	المجادلة	٥٨
النجم	٨٩	البلد	٩٠	النصر	١١٠
الطور	٥٢	الشمس	٩١	المدثر	٧٤
القمر	٥٤	البروج	٨٥	الناس	١١٤
ق	٥٠	الانشقاق	٨٤	الكوثر	١٠٨
ص	٣٨	الغاشية	٨٨	القلم	٦٨

المؤمنون	٢٣	الانشراح	٩٤	يس	٣٦
الكهف	١٨	الاخلاص	١١٢	الانبياء	٢١
الروم	٣٠	التكاثر	١٠٢	الجعدة	٣٢
القصص	٢٨	قرش	١٠٦	هود	١١
يونس	١٠	الاعلى	٨٧	الزمر	٣٩
الأنعام	٦	الزلزلة	٩٩	سبا	٣٤
الجمعه	٦٢	النازعات	٧٩	الرعد	١٣
الحديد	٥٧	القيامة	٧٥	الانفال	٨
الناقصون	٦٣	الواقعه	٥٦	النساء	٤
التحریم	٦٦	الصفات	٣٧	النور	٢٤
المائدة	٥	طه	٢٠	المنحة	٦٠

وانك على السورة رقم ٥٠ من النسخ المبين أعلاه (سورة ق رقم ٤٥) على النسخ (النج) تجد الروح الشعرية متغلبة وفيها التهديد محسراً ولكن عندما تزداد سطوة محمد تجده كثير الانذار عنيفاً في حملته مع عدم الاهتمام الى اتباع النسخ الشعرى فقد قدنا الشاعر حين برز النذير الذى حلول بسط نظريات اجتماعية وقد ذهبت ذكرى السماء وجهم من طريق قص قصص اليهود

نم قصص المسيحيين . وانك لتجد في السور المدنية وعددها ٢٩ صراحة لم نعهدها من قبل ففيها نضال من اجل المبدأ الجديد . وانك لتجد الذى كان في مكة مقنعا ناصحا قد انقلب في المدينة مشرعاً غازياً يعلى وجوب اطاعته معتمداً على اسلحة خلاف قلم الكاتب الشاعر . ففي المدينة لم يجد الشعر له مجالاً بل قد حل النثر مكانه مع ادماج بعض مقطعات شعرية هنا وهناك وقد كان في مكة يدفع عن نفسه الشاعرية ولكنه في المدينة كاد ان لا يحاول هذه المدافعة

وتقابل فجأة مع الدعوة الى طاعة الله مع طاعة (رسوله) ورضاء الله مع رضاء (رسوله) مجتمعة معا وقد كانت دعوته سابقا منحصرة في الله ، وانك لتجد الدعوة لذاته جليلة في السورة (٩ التوبة) الآية ١١٨ و ١٢٩

واعتقد ان اول ما يدور بخلد قلوب هذا الكتاب انه ابتدأه بروح الباحث

وراء الحقيقة ثم انقلب حائاً على اتباع تعاليم مخصوصة سم الى مشرع ومقنن كذلك من السهل ملاحظة ان نسق القرآن قد اهتم فيه بايجاد تأثير في سامعه وليس على قارئه ومنه مواقف جاثية تجبر السامع للتروى ويمكن ان يقال ان نسق القرآن هو كالآتى :

نزول جبريل بالوحى والنبي حوالى الاربعين من عمره بينما كان مسيحياً الى جبل حراء القريب من مكة نلى ذلك (الفترة) حيث انتظر هبوط الملك مرة ثانية وقد قضى ثلاث سنوات لم يجمع فيها حوله سوى اربعين مؤمناً كانت اولاهن أمراًته خديجه وكان امهم خليفته ابو بكر

ثم قام النزاع بينه وبين المسكين وتبع ذلك رده من الزمن حدثت فيها الروايات الثانية فقام يناضل الوثنية بشدة الامر الذى ادى لهجرة الحبش ثم التفت بعد وقت اخر الى القصص المسيحية واليهودية واطن أنه احتاج لزمان لنفهم مبادئها قبل ان يشير اليها . تبع ذلك اسلام عمر عام ٦١٧ ب . م ثم الرحيل الى الطائف عام ٦٢٢ ب . م ولحاولة اقناع المحتاج للمدينين في مكة وجوب اعتناقهم للاسلام ثم نشره في مدينتهم . وحدثت في هذه السنة حادثا الاسراء والمعراج وتبع ذلك صدور امره بالمهاجرة الى المدينة وكان ذلك في ابريل ٦٢٢ ب . م وتحوى هذه المهاجرة خبر التجانم مع ابى بكر في الفار وكان ذلك في ٢٠ يونيو سنة ٦٢٢ ب . م ثم عقب ذلك معاهداته مع القبائل المسيحية فوقعة بدر وموقعة احد ثم اتحاد اليهود و 'المشردين' ضده ٦٢٧ ب م وما تبع ذلك من حصار المدينة ثم معاهدة الحديبية وارساله الوفود الى خسر وانوشروان ملك العجم (فى نفس السنة) والى حاكم مصر والى ملك الحبش داعياً الى الاسلام ثم عاربه للقبائل اليهودية ومنها قبيلة خيبر ثم ارسل وفوده الى هرقل والى سوريا ثم حجه للكعبة سنة ٦٣٠ ب م وهدمه لاوثانها وتسليم نصارى نجران وعيله والطائف واته الوفود مستقلة من حضرموت واليمن ثم تأمين الحج فكل هذه النقاط تساعد على تنظيم السور نظاماً تاريخياً انما لا يسبب التعب حقاً هو وضع الآيات المستقلة الموضوعة لمناسبات فى مواضعها الحقيقية ويجوز ان محمد نفسه قد ضم آيات سابقة باخرى لاحقه فى مناسبات خاصه لقرآته فى التخفيف من تأثير قوة السابقة . وهذه الفترة هي التى اكثرت فيها من ذكر الغفران والاشارة الى العذاب المقبل

ومن الغريب ان حوادث محمد نفسها لم تذكر فى القرآن الذى لا يحوى الاشارة

بسيطة عن اثنين من اتباعه كذلك النص لم يحو اسم محمد إلا خمس مرات مع أنك تجد جبريل يخاطبه بقوله : اقرأ : ويا أيها المدثر : كثيرا (راجع السورة ١٥٥ و ١٥٦ و ٢٤٦ على وجه الخصوص)

ومن العقول أنهم لم يهتموا بجمع تاريخ محمد ولا اقواله الا بعد ما يقرب من قرن من الزمن وقد جمع ذلك فيما بعد مما هو متداول بعد ان مزج باغراض وغايات وقد اختلقوا اقوالا وقصصا نسبوها اليه وحاولوا تفسير القرآن مستدين عليها وذلك لخدمة بعض اغراض رعى اليها الامويون ، العباسيون

وقد ظهر في عهد الخليفة الخامس ثلاثة أئمة لا يزالون المعتمد الذي يستند اليه في الثبوت من اخبار واقوال محمد . ولا يمكن أخذ اقولهم قضية مسلمة لانها كانت ترمى لاثبات آراء قضيية معينة وكانت تحاول طمس حق على وخلفائه في الخلافة وكذلك حشوا ضمن ما جمعه بعض معجزات لم يذكر عنها القرآن شيئا . هنا اذا لم قل بان القرآن صريح في نفي حدوث اية معجزة . ويجب على المسلم ان لا يسل بصحة حديث اوسنه الا اذا تنوقلت عن مصادر امينة مع موافقتها . لروح النص . ولكن هناك اشياء لا يمكن الثبوت منها اذا عدنا لمعاني القرآن الا بالتأويل

واول من كتب عن محمد رجل اسمه الزهري مات في سن ٧٢ عام ١٢٤ هجرية ولم يبق من آثاره شيء . الا ما ذكر في كتب خلفائه عنه وقد اعتمد على عروة المتوفى سنة ٩٤ وكان من اقرباء عائشة زوج النبي

وتبعه ابن اسحق احد مستمعيه ومات سنة ١٥١ هـ وهذا الذي كتب تاريخ محمد للخليفة المنصور وبقيت لنا اثار منه بنى عليها ابن هشام تاريخه وقدمات هذا الاخير عام ٢١٣ هـ

ثم كتب الوافدي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ تاريخا وصل الينا مختصر عنه بقلم الكاتب وكتب الطبري تاريخ العرب وقد مات سنة ٣١٠ هـ وله حوليات عن محمد فهو لاه الكتاب القدماء هم المصدر الذي نأخذ عنه معلوماتنا عن حياة محمد وليس من العلم في شيء الاعتماد على رجل مثل ابي الفداء الذي نقل المتواتر وفند ما يصح تفنيده منه ولكن من السهل ملاحظة التطابق الكائن بين قصص القرآن وبين التلود العبري مثلا واستنتاج التحوير الذي اوجد في بعض القصص . وكذلك نجد تطابقا بين قصص النصارى العرب وبين ما ذكر في القرآن

وقد امتنع الناس أخيراً عن الشك في تنزيل القرآن . ولكن حال حياة محمد قال المكيون إن القول قول شاعر وأنه حديث ساحر (سور ٣٦ و ٢٥ و ١٧) وأنه مجموعة أناويل كاذبة وزعموا أسلاف الفارسي هو الذي أفهم محمداً فكرة النعيم وجنهم المذكورة في الزند افستا (كتاب الزرادشتيين) وإن رابعا مسيحيا أسمه سرجيوس (بحيره) هو الذي أفهمه روح المسيحية وقد يكون غيره من المسيحيين وخصوصا العيد منهم من ضمن من أفهموه بعض ماعله . ويقال إن امرأته خديجة وقربها ورقة كانا مسيحيين . هذا بخلاف وقوف أتباعه على تعاليم المسيحية واليهودية . كذلك كان بعض العرب من معتققي هذه الاديان . ويجب لا ننسى بأن محمداً قد رافق عمه ابي طالب مرتين في رحلاته ولاشك أنه قد اتصل في كل مرة ببعض أتباع المسيحية الشرقية يجدر بنا هنا الإشارة الى انه كان في عصره وقبله بعض سكان مكة من الباحثين مثل زيد واميه (الطائف) وورقة وكانوا متذمرين من تعاليم الوسط الديني لما رأوه منميزات المسيحية واليهودية فحاولوا إيجاد بعض تعاليم ارقى ومن ضمن أتباع محمد يمكن تسمية اثني عشر رجلا بالاقبل كانوا ينتمون الى الحنفية التي تقول بالاله الواحد وتعتبر انها من ذرية ابراهيم مؤسس دينهم وقد صرح محمد انه من الحنفية (وليس الحنفية) (النحل ١٢٠) - (راجع الحنفية في الفهرست الموجودة منه نسخة خطية في مكتبة باريس تحت رقم ٨٧٤) - ويعتقد علماء الاديان ان نسخة الفهرست هذه كانت ملكا للخليفة المأمون وفي هذه النسخة يسمون الحنفية الصابئة ثم اصحاب ابراهيم فمن هذه الصحف نقل محمد قصتي عاد وثمود ومن المعقول ان محمداً كان من أتباع الحنفية ثم خرج عليها ودعى الى الاسلام وقد قيل ان ورقة كان تابعاً لمحمد حتى خرج عن الحنفية فقتل عنه وبظهر ان محمداً قد خلط ما بين تعاليم الادريين Gnostics بالمسيحية وظنها منها ولذلك رغبة منه في التقرب من اليهود انكر حادثة صلب المسيح ودعى اليهود الى السلام بحقيقة المسيح كما ذكرها هو في كتابه وأنه رفع الى السماء كإرفع بعض أنبياء اسرائيل وكانت صابته تتجه صوب بيت المقدس في صلاتها وهذا ما كان يفعله محمد في المبدأ لمدة ١٢ سنة وكذلك الفصل كما هو معروف في الاسلام اصله صابئي^٢ وانك لتجد في (سورة ١١ / ١٠٥) نبذة طويلة منقولة عن الكتاب المقدس حرفياً

بخلاف نذ قصيره اخرى موجودة هنا وهناك كذلك راجع (الثنية ٢٦/٤١ - ١٧ بطرس اول ٥/٢) بالسورة (١٤/٥٠) والسورة (٥/٧٣) (يوحنا ١٥/٧) ومتى (١٤/٣٦ ويوحنا ٧/٢٧) في لفظتى امى والساعة

حقيقة لم يكن الكتاب المقدس قد ترجم في ذلك العهد ولكن هذا لا يمنع من أن العرب النصارى واليهود كانوا واقفين على محتوياته وهذا الذى دعاهمنا الى الاهتمام بنقل القصص دون بقية التعاليم نقلًا مطولا

وقد ذكر محمد في موقع واحد (الاحقاف / ١٠) أن أحد اليهود كان شاهدا على رسالته كذلك راجع سورة (٦ / ٢٠ و ١٣ / ٩٨) وسورة (٢٥ / ٦٥) ومع كل ما سبق لا يمكن لنا اتهام محمد في اخلاصه للعمل على انشال قومه من عبادة الاوثان إذ كان له دافع روحى قوى للجهر بما جهر به مقتنعا انه انما ينفذ ارادة الله . وقد أزداد نجاحه من يقينه . والا لما وقصوجها لوجه امام الاضطهاد دون ان يتقهقر حقيقة كانت بلاد العرب مستعدة لاقبال آراء جديدة قبل قيام محمد بدعوته وكانت النظريات موجودة لا ينقص الا جمعها والجهر بها فالاسلام كان ضرورة لا بد من وقوعها

وقد ساعدت محمد استقامته وأمانته على الحلول في المحل الذى تمكن من ملئه بنجاح حتى أصبح أحد الذين كان لهم أثر عظيم في رفع شأو الاخلاق والايمان. وقد كان حقا رجلا عظيما بكل ما في الكلمة من معنى وقد سهلت له الظروف النجاح في مهمته فمن الغبن أن يقوم بعض رجال من الغرب لمحاولة النيل من عمله العظيم واتهامه بأنه . . . وكل ما يمكن للمسيحي أن يقوله عنه أنه مخطئ. والخطأ لا ينفي العظمة وقوة الاخلاق كذلك يجب الاعتراف بأن القرآن جدير بالاهتمام لما حواه من النظريات العالية والارشادات القيمة . فهو الروح الذى غير تلك الامة الفقيرة الجاهلة الى أمة ذات مدنية زاهرة بسطت جناحها على منطقة تحدها غربا باسبانيا وشرقا بمجود الهند فقد انقلب الرعاة البسطاء ما بين طرفه عين الى مؤسسى امبراطورية عظيمة مرصعة بالمدن الكبيرة وهم الذين جمعوا المكاتب القيمة . وهل من ينكر العظمة التى وصلت اليها الفسطاط وبغداد وقرطبة ودلهى ؟ وللقرآن مقام محترم كقانون راق نسيا لعصره وكهاد ديني وكمل لاسم الله في وسط كان يعبد الاوثان

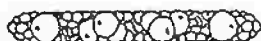
ويجب أن لا تنسى أوروبا أنها مدينة لهذا الكتاب ولهذا النبي بشمس العلم
التي أطلت على أرجائها فتشعت ظلمات القرون الوسطى وكفى القرآن نفرا أن
يحوى كلاما مثل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

مترجمة

ع ٠ ع



دار العصور للطبع والنشر

بشارع الخليج المصرى بالظاهر بمصر

على استعداد كامل

لطبعم الكتب عربية وافرنجية

والمجلات فى احسن ثوب مع المحافظة على المواعيد والاتقان التام

وبها جميع الاستعدادات التى تمكنها من تلبية كل الطلبات التى

تطلب منها فى اقرب وقت